

دمعة وفاء

على المرحوم الأستاذ غانم محمد

بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته

الأستاذ زكي نجيب محمود

أحقاً يا غانم حم القضاء وقام فيك الرثاء ؟ أحقاً طح بدوحك العاني منجل الفناء ؟ واجيعته ؟ قم إذن يا صاح فاهتف بالمحاجر أن تسح الدمع هتوئاً سخياً ، وبالحناجر أن تسكب ذوب النفوس أنيناً حزيناً .

عجاً ! آستطاع الدهر في لحظة من الزمن ، أن يطوى الشمس في ظلة الرمس ؟ آستطاع الموت بلفظة في لحظة أن يدك طوداً كان شامخاً بالأمس ؟ أفي اليوم الذي نرجو للأمة فيه غانماً وغانماً ، يهوى مخلب الموت ، بين أشاجعه رعب القدر ، ونظر فاذا غانماً الواحد قد افتقدناه في مثل الملح بالبصر ؟ حنانيك يا رباه ! أأصبحت بالنية غانماً أم أصبحت عشيرة في رجائها ؟ أرميت بالبلية رجلاً أم رميت الرجولة في سويدائها ؟ فما كان فقيدنا في عداد القوم واحداً كسائر الأحاد ، بل كان ينبوعاً للرجولة دافقاً ، وقلباً للوطنية خافقاً ، يمتليء همه حتى ليسكب الهمة في بنيه ، ويشتعل حماسة حتى ليبت الحماسة في مواطنيه ، لا يدخر في سبيل ذلك ما وسعه من جهد اللسان والقلم . فهأنذا أطوى اللبالي القهقري أعواماً ثلاثة ، فاذا بالمطبعة العربية تذيع في الناس كتاباً لا يخطف العين مظهره ، ولا يضح به في الناس منشئه ومسطره : جان دارك تأليف غانم محمد .

أقبلت على الكتاب حينئذ ، ولم أكن أدري عن صاحبه إلا أشتاتاً منشورة ، فحسبته بادي الأمر كتاباً من الكتب أخرجه للناس كاتب من الكتاب ، فما هي إلا صفحات عشر أتلوها حتى همست لنفسي قائلاً : كلا ! تالله إن الرجل لكاتب بارع وأديب قدير ، اختلجت في نفسه الفكرة غنيمة جبارة . تنشئ التصوير والتعبير ، فاستجاب لدعوة القلم وكأنه فولتير يشور فيسطر فيثير . نعم لم تكن إلا صفحات عشر أتلوها حتى أيقنت أن الكاتب منشئ غمور ، قبس من صحائف التاريخ

مدرسة (أنينا) الفرنسية التي أخذت تنهج في الدرس نهجاً حديثاً ، وفي بقية مدارس أنشئت لهذه الغاية كمدرسة (روما) ومدرسة القاهرة ، وفي بعض مجلات عليية أنشئت لتعمل على تشجيع هذا المذهب الجديد !

وقد سرى هذا الارتجاج الى الفلسفة فخالق أن العلم يدل منهاجها . وبدا أثر هذا الارتجاج في الدراسات النفسية التي كانت تعتمد على الدرس الباطني فبدل نوع هذا الدرس وجاءوا يعلم جديد لدرس النفس لا يعتمد الا على الفحص والتجريب والبرهان . وخزانة الفلسفة الفرنسية لا تزال طافحة بهذا النوع الجديد من الدرس كما نازر الفيلسوف ريبو ، في معالجة أمراض الذاكرة والارادة والشخصية . وكلها أبحاث قائمة على الفحص العلمي والبرهان العملي الذي لا مجال للخيال فيه وهي تثبت أن أصول علم النفس الروحاني لا تتلاءم مع الأعمال ، وأنا بدرستنا - علياً - لفساد المادة الدماغية ندرس كذلك فساد الفكرة التي لا بد أنها مظهر من مظاهرها وأثر من تأثيرها .

أما علم درس المجتمعات فهو لا يشبه العلم فحسب ، بل يجب أن يكون علماً صارماً في تطبيق مبادئه وفي تطبيق نتائجها ، كما هو الحال في علوم الطبيعة . ولم ينشأ هذا العلم في فرنسا الا بعد عهد ، ولكن هذا لا يمكن أن يكون وليد المذاهب العقلية . وإنه علم ومنطق يراد به خلق أصوله ومناهجه . وقد وقف العالم « دوركايم » جهوده على القول بأن الحوادث الاجتماعية هي حوادث مخصوصة معينة يجب اعتبارها كأنها خاضعة لقوانين خاصة يكتشفها علم الاجتماع كما يكتشف علم الطبيعة قوانين الطبيعة وهناك فئة عليية تدين بالعلم . هذه الفئة التي قدم لها « رينان » كتابه « مستقبل العلم » ، هذه الفئة هي التي مشى وراء تعاليم « دارون » وعلى هذه الفئة ثبت مستقبل العلم ومستقبل الديمقراطية ، وفي الحقيقة كانت الجمهورية الفرنسية متقلقة متزعزعة حتى عام ١٨٨٠ ، فتألب رجال السياسة والصحافة على استنقاذها من مأزقها ، فعمدوا الى التبشير بكلمات « برتلو » ، بالمساواة والحرية والاتحاد والسعادة ، بالعمل على تأييد العلم الذي يجازي العاملين من أجله بالسلامة والعافية ورفاهية العيش ، وهو الذي سيحل عقدة الحياة والوجود .

ان هذه الرقبة الغلية غزت الأدب فيما غزت وكان لها فيه تأثير بليغ ؟

فليب هنراوى

درة من أئمن ماتحوى لجة التاريخ من درر ، ونشر صفحة من أسطع ماطوى الدهر من صفحات . ومن أنه بهذا الكتاب قد أداع في الناس مثلاً أعلى للتضحية والفداء ، ونموذجاً سامياً للوطنية المشتعلة الصادقة بمثلة في جان دارك . وما أزال عند كلتي التي ختمت بها مقالتي من أن غانما قد وفق في التصوير توفيقاً بلغ حد الكمال ، وأن ليس هذا الكتاب واحداً من الكتب يتلى ثم يطوى وكأنه لم يكن . إنما هو فيض من الشعور القوى النبل سيغمرك ويحتويك حين قراءته ، وسيطبعك بطابع هبات أن يزول أثره ما بقيت على الدهر إنساناً ،

ذلكم هو غانم الذي التقيت به في كتابه منذ أعوام ثلاثة لقاء قارىء بكتاب ، ثم التقيت به منذ أشهر ثلاثة لقاء روح بروح ، ثم افترقنا فراق الأبد ، بعد أن خلف لنا حرارة نفسه وحلاوة جرسه في كتابه الخالد

فرحة الله ورضوانه على الفقيد الكريم

زكى نجيب محمود

كتب بقلم محمد عبد الله عنانه
تحقيقاً لرغبة الكثيرين نبيد القرعة المخفضة لبيع الكتب
الثلاثة الآتية بمدة شهر فبراير

مصر الإسلامية

ثمنه ١٥ قرشاً ويبيع بـ ١٠ قروش أى بتخفيض ٣٣٪

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويبيع بـ ٦ قروش أى بتخفيض ٤٠٪

ابن خلدون حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكرتون)

ونحن الثلاثة كتب معاً ٢٠ قرشاً أى نخصم ٤٠٪

عدا البريد وهو الثلاثة خمسة قروش داخل القطر وعشرة خارجة
والكتاب الواحد ثلاثة للداخل وخمسة للخارج وتطلب من إدارة الرسالة
ومكتبة النهضة بشارع اللدانيه وجميع المكتبات الشهيرة

هدى ونورا ليلقيه في جوانحنا لهباً مسعوراً ! فإنا كتابه هذا عن جان دارك إلا منصرف تدفقت فيه أواذي نفسه المضطربة المصطخبة في بيان رائع خلاب . كأنها وحى النبوة يستحيل إلى بلاغ في كتاب .

استمع إليه كيف يستهل كتابه :

لم أكتب مذ عرفت أنامل قبض القلم وتحريكه ، ولم تنطق شفتاي مذ انفرجتا للنطق ، ولم يخفق قلبي ، ولم يحش وجداني وتشرح جوانحي ، منذ أن خرجت إلى الدنيا ، لأمر من الأمور هو أسمى وأرفع وأشرف من الغرض الذي أرمى إليه بموضوع اليوم . ثم انفذ إلى الختام وانصت إليه ماذا يقول قبيل أن يضع القلم : وإني أختم هذا الكتاب مترسباً أثر جان في دعوتها وحياتها وصفاتها ، وكللى أمل خالص أن تبعث قراءة قصتها في قلوب القارئ نور الايمان الصادق ونشوة الوطنية الحقة . إن ما حققته جان في مقدورنا أن نحققه ، إذا ما ارتفعت بنا ، كما ارتفعت بها هي من قبل ، أجنحة الوطنية والدين . . . أيتها الفتاة المنقطعة النظير انفضخي فينا من روحك ، وبثي فينا من حماسك ، لكي نحيا حياتنا ونموت في سبيل الله والوطن . . .

وإذا أنت مضيت بين تلك الفاتحة وهذه الخاتمة ، لم تقرأ أسطراً كالأسطر ، بل أحسست في الكلم حرارة وقوة وحياء ، فهو ناثراً حيناً شاعر حيناً ، إذا جالت جان دارك في أجنادها زار القلم في يده زئيراً ، وإذا جلجلت جان دارك في أصفاها صر القلم من الأنين صريراً . وهكذا صور تتلوها صور ، أبدعها صناع فسواها ، وألهبها من شعوره فأذكاها ، حتى لتقرأ الكتاب وكأنما تخوض في أتون مستعر ، أو كأنك تنصت إلى صوت من السماء يهتف بك : تلك جان دارك في فرنساها ، وهانت ذا في مصرك ، فإذا أنت صانع ليدكو شعورك الخالي ، وينهض بلدك الكاني ؟ وهذا النداء في ذلك الحين ما كان أبلغه من نداء حيث كادت تذهل أنفوس عن الطموح إلى السماء ، فانحرفت إلى الأرض راضية من الغنيمة بالحلب والماء .

لم أكد أفرغ من قراءة الكتاب عندئذ ، حتى حملت قلبي على وهه وعثاره ، ودعوت للكتاب (في الرسالة) لأنى آمنت أن الدعوة له صيحة وطنية واجبة ، وكلما ازددت للكتاب قراءة ازددت يقيناً بما قلته إذ ذاك من أن غانماً أخرج بكتابه للناس